



أصبحت أخبار المجازر والقتل والتدمير وجة يومية، وكم يحزن القول بأن أعيننا وأسماعنا تعودت عليها، نحرق ونقتل ونبكي ونحزن يوميا كلما استمعنا لنشرات الأخبار، نسمع عن طائرات ودبابات تتصف المدن السورية من دمشق ودرعا حمص وحماة وحلب وإدلب ودير الزور واللاذقية وغيرها الكثير.

لا تمر ساعة من ليل أو نهار إلا وسمع ونرى خبر عن مجزرة يقوم بها نظام حكم بلداً منذ عشرات السنين، بأسلحة اشتراها الشعب السوري بماله وعرقه ودفع ثمنها بقوت يومه ويدفع الآن روحه وحياة أبنائه وإخوانه وبيته وعمله مقابل التخلص من النظام المسيطر عليها.

هذه الحالة مرت علينا من قبل في ليبيا، وهاهياليوم تمر علينا في سوريا.

فالشعوب في عالمنا المسمى اصطلاحا: بالعالم العربي تشتري حريتها بمالها ودمها وعرقها ودموعها.
ولكن لماذا سقط القذافي في ليبيا خلال أقل من سنة وتدخل العالم بكل قوته إلى جانب الثورة الليبية بينما توقف العالم متفرجاً لا يعطي الشعب السوري إلا بعض الخطابات الخالية من المضمون؟

وما زال العالم بأنظمته السياسية ومنظمهات الدولية الإقليمية يتكلم عن حلول سياسية. بينما كلهم يعلم أن الحالة السورية خرجت عن المجال السياسي، فعشرات الآلاف من القتلى وأضعاف هذا الرقم من الجرحى، وأرقام مهولة من المدن والقرى التي سويت بالأرض يجعل الحديث عن حلول سياسية حديث منتهي الفاعلية، تعلم هذا تركيا كما تعلم إيران، وتدركه أمريكا وأوروبا كما تدركه روسيا والصين، ولكن لماذا هذا الإصرار عليه؟

الإصرار على الحل السياسي يعرف سببه وخلفياته حتى الأطفال في سوريا، فهم يعلمون أن ثورتهم ضد حكم الأسد. ومطالبتهم بالحرية والكرامة. وقعت ضحية تضارب وتشابك مصالح.

أمريكا وأوروبا تسعوا باستمرار القتال الدموي في سوريا، فمن يقتل من السوريون سواء من المدنيين أو من الثوار وحتى من جيش النظام، يعتبر حماية إسرائيل أولاً، وشريخ يضرب في البنية الاجتماعية لسوريا. وكل مبني ومصنع وشارع وهي يدمّر يصبح مورد للمال سوف تقاضاه هذه الدول مقابل إعادة البناء. إذا أضفنا إلى ذلك ما يدمّر يومياً من ببابات ومدرعات وطائرات ومعدات حربية التي كان يجب أن تكون على الحدود الإسرائيلية لتكون شوكة في خصوها، وسيخرج السلاح السوري من معادلة القوة في الشرق الأوسط.

وسيسقط أقوى جيش في الشرق الأوسط، وهو الجيش الذي يعلم كل باحث أنه كان أقوى من الجيش التركي. ولذا يجب تدميره على يد النظام للحفاظ على كرسي الحكم، وتدميره على يد الثوار لحماية أنفسهم وأهليهم شعبهم من بطش النظام. كما سيسفيد الغرب وأمريكا من استمرار مسلسل بطش النظام والقتال الدائر في سرعة إنهاك الإيراني، الداعم الرئيسي لنظام الأسد، فاستمرار الحصار الدولي على إيران وسوريا سيتسبب في إنهاك حقيقي للاقتصاد الإيراني المتردي مما يحد من قدرة إيران على تطوير نظامها النووي. وهذا الإنهاك ستسفيد منه دول الخليج وتركيا كمحاولة لإخراج إيران من المعادلة الإقليمية.

روسيا أيضاً تستفيد من استمرار حالة البطش والمجازر في سوريا، فهي تعلن لحلفائها في أمريكا الجنوبية وغيرهم أنها لن تتخلّى عن الأنظمة التي تحالف معها، وفي نفس الوقت فإن تصاعد العنف سيفتح سوق تصدير السلاح الروسي إلى إيران ثم إلى سوريا ونحن نتكلّم بالمليارات. فهي تستفيد من ذلك سياسياً واقتصادياً.

الثورة السورية داخل سوريا ما زالت ثورة شعب من أجل التخلص من نظام طاغ، ولكنها من وجهة نظر الخارج تحولت إلى صراع مصالح. وكل بحاول الحصول على أقصى فائدة له، سواء في الغرب أو الشرق.

ولن يتوقف مسلسل القتل إلا بانتصار الشعب السوري، وهذا لن يتحقق إلا بتحقيق الوحدة بين الفصائل المقاتلة، ويكون رئاسة أركان لها، سواء الجيش السوري الحر وهو أكبر الكتائب المقاتلة، أو ما نسمع أخيراً عن الجيش الوطني السوري، أو الألوية الأخرى. فتوحدها في مواجهة النظام أو مواجهة العالم الخارجي سيكون سلاح فعالاً لتحول الكثير من القوى من موقف المتفرج إلى موقف الفاعل.

أما بالنسبة للمعارضة الخارجية فأكاد أفقد الأمل في توحدها، ولا أظن إننا سنرى قريباً توحدها لها، بل ولقد استمعت إلى أحد أقطاب المعارضة وعضو في المجلس الوطني وهو يصرح أن "القاعدة" لها وجود وتقاتل إلى جانب الجيش الحر ومثل هذا التصريح سيمعن أي محاولة لتسليح الثوار ويعنّ عنها التعاطف الشعبي الدولي الضاغط، ومعارض آخر صرّح في أحد القنوات أنه يقف مع نظام الأسد لأن المقاتلين على الأرض إسلاميون. فهو يقبل بنظام الأسد ولا يقبل بدخول إسلاميين إلى هيكل الحكومة القادمة في سوريا.

كنت أسمع قديماً أن نظام الأسد قد اخترق المعارضة الخارجية، وما أراه هو تأكيد لتلك الإشاعات.

فيالطبع هنالك معارضون سوريون شرفاء ووطنيون في الخارج. ولكن وجود بعض المعارضون المزروعين ضمنهم من قبل النظام،

ووجود آخرين مرتبطين بأنظمة خارجية سواء فرنسا أو بريطانيا أو غيرها يجعل توحدها في جبهة واحدة مهمة مستحيلة. فهؤلاء المعارضون لا يختلفون كثيراً عن الدول التي يقطنون فيها فهم يقفون مع مصالحهم الشخصية كما تقف الدول الأخرى مع مصالحها.

ورغم هذه الحالة من تشابك وتضارب المصالح الدولية في المشهد السوري، ولكن كل هذه الدول توقن أن نظام الأسد

سيسقط في النهاية، وكل المؤشرات تدل على هذا، فالحرب أصبحت حرب حقيقة، حرب نظام ضد شعب، والتاريخ يعلمنا أن الشعوب هي من ينتصر في النهاية.

فطافة الشعوب على الصبر وقدرته على الصمود غير محدودة. ولكن الثمن سيكون غاليا. مصداقا لقوله تعالى (وَلَا تَهُنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْمًا حَكِيمًا) وعلى طريق الحرية والكرامة نلتقي .

المصادر: